

مقاومة خمسة قرون في سبتة ومليلية والجزر المتوسطية من خلال المصادر العربية والأجنبية

عبد العزيز بن عبد الله

مقاومة سبتة منذ 580 سنة (1414-1994)

إن احتلال المدينتين المغربيتين الأصليتين سبتة ومليلية من طرف الاسبان سبة في جبين أواخر القرن العشرين الذي تمت خلاله تصفية كل مظاهر الاحتلال في العالم المتمدن، وقد أطل القرن الواحد والعشرون ومع ذلك فإن الاسبان لا يزالون يراوغون ويختلقون الصيغ المموهة لتبرير مواصلة الاحتلال مستنديين في ذلك إلى هامش القانون الدولي العام، وإلى اتفاقيات سرية أو مصالح مشتركة مع دول أوربية وأخيراً إلى وضع جديد خلقتة (الوحدة الأوربية) التي بدأت متعثرة نظراً للمفارقات الصارخة بين أعضائها. وسنرى خلال هذا العرض المقتضب

كيف أن الأسباب تذرعو - لحد الآن - طوال نحو من ستة قرون بشتى العوامل المهزوزة لدعم وجودهم في آخر معقل لهم بالقارة الإفريقية، وكانت مساومات بعض دول أوروبا بصدها مع المغرب، لا تنطلق من حق المغرب بل من أفضليات في المصالح الخصوصية لهذه الدولة أو تلك. ولعل هذه الدول التي ظل موقفها مطبوعا بنوع من المراوغة قد شجعها في الواقع خلل داخلي في المغرب قد يكون بعضه نتيجة دسائس خارجية وهو ثورة إقليم أو انتفاضة قبائل ضد السلطان الشرعي المبايع كلما جد الجد في حصار سبتة أو مليلية، مما كان يضطر السلطان إلى القفز تواريا لمناطق الاضطراب فتنسل من المغرب حظوظ للتحرير. وحتى رجال المقاومة الأشاوس - الذين يهبون من أقصى السوس كما يقول طيراس رغم عدم توفرهم على سلاح متكافئ مع عدة العدو - كانوا لا يكادون يصلون إلى مرحلة قصوى في صراعهم من أجل تحرير المدينتين حتى يحدث هنا وهناك داخليا أو خارجيا ما يعرقل مساراتهم التحريرية. ولنا خير نموذج لذلك في (حرب الستة أيام) في فلسطين حيث انطلقت من الخارج تحديات بل وتهديدات أوقفت الحركة بل رجعت بها إلى الوراء، فأصبحنا نفاوض على جزء قليل مما كان بين أيدينا قبل عام 1967، فالويل كل الويل لأصحاب الحقوق الهزيمة اليوم إذا هم لم يتعضوا بعبر التاريخ في رصانة وبعد نظر ووحدة صف.

وإذا كنا في غير حاجة إلى استعراض بعض المجالي الحضارية والفكرية والسياسية لمدينة سبتة، فالواقع أننا قد نضطر ربطا للماضي بالحاضر، إلى إبراز مكانة حاضرة البوغاز في الحضيرة الدولية في نطاق السيادة المغربية وذلك في شيء غير قليل من التفاصيل.

إن الزقاق أو البوغاز هو عرض البحر الواقع ما بين (سبتة) و(الجزيرة الخضراء). وتزعم بعض المصادر أن الأسكندر حفر ما بين العدوتين وبنى أول رصيف من الحجر على طول إثني عشر ميلا انطلاقا من (سبتة). وقد تحدث ابن سعيد المغربي عن هذه القنطرة التي لا يتوفر ما يدل على وجودها عدا ظواهر جغرافية كالتقاء جبال إسبانيا بالريف وهي بارزة إلى الآن في وجهتها الطبيعية. ومهما يكن فإن ما أكدته ابن خلدون هو غلبة الروم والفرنجة والقوط على المنطقة مع انتشار البربر بالضواحي خارج الحدود الرومانية المعروفة (Limes). وقد احتل القرطاجيون قبل ذلك إلى عام 146 ق. م أطراف المنطقة وظلوا متمسكين بمكاسبهم على طول الساحل إلى حد أنهم أغرقوا في القرن الثالث قبل الميلاد جميع المراكب المارة بسبتة حول ما يسمى بأساطين هرقل.

وقد غزا طارق بن زياد الأندلس متوجها (عام 92هـ) من سبتة إلى الجزيرة الخضراء مارا بالجبل الذي حمل اسمه وهو جبل طارق فوجد - حسب ابن خلدون - جنس القوط مستوليا على الأندلس منذ أربعة قرون خلت، مع بسط نفوذهم على العدو الجنوبية، يدين له فيها عاملهم على سبتة يوليان الغماري الذي انطلق موسى بن نصير من القيروان لاستنزاله وامتلاك خليج الزقاق والالتحاق بطارق في الأندلس مرورا بجبل موسى، وبعد فترة تعاقب خلالها ولادة على المغرب والأندلس ولي عمر بن عبيد الله المرادي على طنجة وسبتة عام (114هـ) فأساء السيرة وحاول تخميس مسلمي البربر فنفرت منه القلوب، وثار ميسرة المطغري الخارجي بأحواز طنجة حوالي (122هـ) واستعرت الفتن في (سبتة) بعد أن لجأ إليها من انهزم من جيوش الشام وعلى رأسهم الوالي كلثوم بن عياض (حسب ابن حيان)، فحاصروهم عسكر الخوارج من المسلمين الذين ثاروا ضد انحراف أهل الشام عن مبادئ الإسلام بالعمل على استنزافهم. وأصبحت

سببة منطلقا لتجمع العرب ضد البربر بالعدوتين معا. وكان بلج بن بشر بن عياض وهو ابن أخ كلثوم قد اتخذ سببة مركزا استراتيجيا تبلورت فيه مظاهر الفتنة بين اليمانية ومضر على غرار ما كان يجري آنذاك بالأندلس. واستمر الحال على هذا النسق إلى عام (127هـ) حيث طرق الخلل الخلافة الأموية بالمشرق فاستحكم استقلال المغرب عن الشرق بظهور صالح ابن طريف البرغواطي. وكان عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة ابن عقبة بن نافع قد لجأ إلى سببة من حيث انطلق لقطع دعوة الخوارج من افريقية إلى المحيط عام (135هـ). وكان العباسيون قد استقروا بالشرق بعد انقراض بني أمية منذ عام (132هـ)، فالتحم عبد الرحمن بن حبيب مع عبد الرحمن ابن معاوية وهو عبد الرحمن الداخل فقتل عام (137هـ)، واستولى عبد الرحمن الداخل في العام التالي على الأندلس.

وظل الخوارج يكافحون عقدين اثنين من السنين إلى أن تقلص ظلهم عام (157هـ) في منطقة الشمال وخاصة سببة، مواصلين التحامهم مع العرب المشاركة ضمن 375 معركة، حسب ابن خلدون. وتعاقب على المغرب ولاية عباسيون إلى أن برز الأدارسة بالتحاق المولى إدريس الأكبر بوليلي عام (172هـ) عن طريق طنجة قاعدة المغرب إذ ذاك. وكانت منطقة غمارة بالريف من أول من بايعه من القبائل. وبعدها ولي الأمر نجله المولى إدريس الأزهر عام (188هـ) اتجه للقضاء على (الخوارج الصفرية) واقتطع المغربين الأقصى والأوسط عن دعوة العباسيين. وكان قد نقل عاصمته إلى فاس وتوفي عام (213هـ) فقسم ولي عهده المولى محمد المغرب بين إخوته الإثني عشر، فاخصص القاسم بطنجة وسببة، واستعرت الفتنة بين الإخوة فانتقلت المدينتان من قبضة القاسم إلى إمرة أخيه عمر مع باقي ساحل البحر الرومي. واستمر نفوذ الأدارسة إلى أن انتزع عبد الرحمن الناصر

الأموي صاحب الأندلس حاضرة سبتة من يد بني عصام ولاية الأدارسة بها أوائل القرن الرابع الهجري، حيث بايع عبد الرحمن الناصر الأمير الإدريسي أبو العيش أحمد بن القاسم گنون الذي اضطر للتنازل عن طنجة، فأصبحت المنطقة كلها في قبضة الأمويين عام (337هـ) بإمرة يعلى بن محمد اليفرني الذي قتله جوهر الصقلي قائد كتائب العبيدين عام (349هـ). وكان الحسن بن گنون أخو أبي العيش، قد ولي الأمر فنكث ببيعة الشيعة متمسكا بدعوة الناصر ثم ابنه المستنصر، وأصبح المغرب في دوامة يتأرجح بين الأموية والعبيدية، فهب قائد المستنصر محمد بن القاسم بن طملس من الجزيرة الخضراء مارا بسبتة للالتحام بالحسن بن گنون عام (362هـ) بفحص بني مصرخ بأحواز طنجة فانهزم الأمويون لاجئين إلى سبتة. ثم تعاقب الكر والفر فتحصن ابن گنون بقلعة (حجر النصر) قرب سبتة، ثم تنازل عنها بعد انهزامه أمام جيوش القائد غالب الأموي الذي نفى آل إدريس إلى العدو الشمالية. ودخل المغرب في أرجوحة جديدة ضمن صراع بين مغراوة وبني يفرن. ولكن سبتة ظلت في قبضة الأمويين الذين ما لبثوا أن أوقعوا عام (387هـ) بقيادة مغراوة الذين انقرضت دولتهم بظهور يوسف ابن تاشفين. وكانت سبتة خلال فترة حكمهم طوال مائة سنة إحدى قواعدهم وعلى رأسها الحاجب سكوت البرغواطي عام (460هـ).

وفي عام (477هـ/1084م)، قبل جواز المرابطين الأول إلى الأندلس حاصرها المعز بن يوسف بن تاشفين برا، وأطاحت بها أساطيل ابن عباد بحرا فاقحمتها عنوة وقبض على صاحبها ضياء الدولة يحيى بن سكوت البرغواطي فقتله المعز صبورا واتجه يوسف من فاس حيث تلاقى مع ابن عباد في بليطة على ثلاثة مراحل من سبتة، وكان اللقاء بفاس حسب ابن خلدون («الاستقصا»، ج 1، ص 111).

ولعل هذه الفترة هي أزهر عصر في تاريخ (سبته)، وهي حقبة نازع الحكم خلالها المرابطون والموحدون بزعامة القاضي عياض الذي وصف لنا في كتابه «الجامع في التاريخ» وهو كتاب تاريخ المرابطين («تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج 4، ص 97) الذي انتهى فيه إلى عام (540هـ) مستوعبا أخبار سبته ورجالها، وما جرياتها، علاوة على ما ورد في كتابه الآخر وهو «العيون الستة في أخبار سبته». وقد استوثقت آنذاك علاقة وطيدة بين علماء العدوتين عن طريق سبته بوثقة الانصهار ومجمع التيارات الفكرية مما أضفى عليها سمة المركزية الفكرية كصلة وصل بين الضفتين انطبعت طوال قرون بطابع الوحدة العضوية الحضارية. وكانت سبته أولى الحواضر المغربية التي تأثرت بالأحداث الأندلسية الجارفة، لا سيما بعد سقوط قرطبة عام (633هـ/1235م) وقيام مراكب الصليبيين الاسبان بمضايقة مياه سبته، مما حدا الجنويين إلى توجيه 28 مركبا لإنقاذ سبته («وصف تاريخ المغرب» گودار، ج 1، ص 341). وعام جنوة هذا مشهور عند أهل سبته لانطباقه على احتلال عاصمة قرطبة (ابن عذارى، ج 3، ص 322، طبعة الرباط 1960). والواقع أن الجنويين الذين هاجموا المدينة في نحو 100 مركب قد حاصروها من أجل احتلالها، فنصبوا المحانيق واضطر السبتيون إلى الاستسلام على أن يعطوا للمغير مالا معلوما دفعه أبو العباس اليانشتى صاحب سبته يومذاك. وفي عام (647هـ/1249م) قام أبو القاسم محمد بن أحمد العزفي ضد الحفصيين الذين اهتبلوا فترة الضعف والاضطراب في سبته فأمسكوا بزمامها فطرد العزفي (ابن الشهيد الهنتاتي) (ابن عذارى، ج 4، ص 454)، واستقر الأمر لبني مرين فبدأوا عام (671هـ/1272م) بالاحتفال بعيد المولد بأمر من السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق، فصار عيدا من أعياد المغرب، وقد تم ذلك في (صبرة) بناحية (الملوية)، ولكن بني

العزفي سبقوه إلى ذلك حيث كانوا يمشون بالمديح (ابن عذارى، ج 4، ص 486) في أزقة سبتة (راجع «الدر المنظم في مولد النبي المعظم» لمحمد بن أحمد بن العزفي، الإسكوريال، 1741).

وبعد فترة حكم شبيه بحكم ملوك الطوائف بالأندلس استعاد بنو مرين سبتة فقام يعقوب بن عبد الحق المريني (عام 684هـ/1285م) بجواز رابع إلى الأندلس عقب وفاة (الفونس) وتنصيب ولده (سانجة) على قشتالة التي تحالفت آنذاك مع مملكة أراغون ضد المرينيين، فاستقدم السلطان المريني 36 قطعة بحرية كانت تحمي ثغور سبتة وطنجة وطريف ورباط الفتح، فانصاع الاسبان. وتوالت على الخليفة وفود (سانجة) بالجزيرة الخضراء للمهادنة، فقبل الصلح بشروط منها الحصول على الكتب العربية المودعة في الخزائن المسيحية («تاريخ المغرب» - عبد العزيز بن عبد الله، ج 1، ص 139). وقد عزز أبو سعيد المريني حامية سبتة عام (728هـ/1327م) فولى قيادتها حاجبه عامرا بن فتح الله السدراتي («الاستقصا»، ج 2، ص 56). ولكن بعض أدعياء العرش من المرينيين كانوا يتخذون من حاضرة سبتة بضاعة للمساومة، فقد اقتطعت سبتة من تراب المغرب رسميا لأول مرة (عام 786هـ/1384م) عندما ولي الخلافة موسى بن أبي عنان المريني مرشحا لهذا الشرط من طرف بني الأحمر حيث كان لاجئا بقصر الحمراء بغرناطة مع جماعة من أدعياء الملك المرينيين. وكان الذي تولى كبر ذلك هو الوزير مسعود بن ماساي الذي ما لبث أن راجع نفسه بعد تولية الوائق بالله أبي زيان محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن المريني عام (788هـ)، فطالب بإعادة سبتة إلى المملكة المرينية. وحدثت النفرة لذلك بينه وبين بني الأحمر فجهاز ابن ماساي العساكر لحصارها فاستولى عليها فسرّح ابن الأحمر

السلطان أبا العباس المنتصر بالله فاستولى على سبتة وعلى الملك للمرة الثانية عام (789هـ) («الاستقصا»، ج 2، ص 138). وكانت حدود المغرب قد ضببت منذ أوائل القرن السابع الهجري في خريطة رسم إحداثياتها (الأطوال والعروض) أبو علي الحسن ابن عمر المراكشي المتوفى عام (627هـ/1230م)، وهو صاحب كتاب «المبادئ والغايات» الحافل بالرسوم الهندسية والتخطيطات التي تمثل ارتفاع قطب 41 مدينة ضمن 131 إحداثية Coordonnées. وكان علماء المغرب حريصين آنذاك على تسجيل مغربية سبتة التي بدأ الأسبان يعملون على احتوائها ضمن حركة الاسترداد (الروكونكيسته) Reconquista، فصنف محمد بن عبد المهيمن الحضرمي كتابه «الكوكب الوقاد فيمن حل بسبتة من العلماء والصلحاء والعباد» وابن الخطيب السلماني كتابه «معيار الاختيار» وأبو محمد بن القاسم بن عبد الملك الأنصاري رسالته «اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار» (نسخة خطية في خع وقد طبعت عام 1974)، و«بلغة الأمانة ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب». وقد ذكر ابن الخطيب سبتة في رسالته (مقامة وصف البلدان) فوصف بيض أسوارها وجبل (بليونش) شمامة أزهارها والمنارة منارة أنوارها ودار الناشبة (حيث كان القوم يرمون النشاب أي النبل) والحامية المضربة والأسطول المرهوب. ثم وصف المدينة بأنها (بصرة) علوم اللسان وصنعاء الحلل الحسان ومحشر أنواع الحيتان ومحط قوافل العصير والحريير والكتان ثم قال «وكفاها السكنى بليونش في فصول الأزمان ووجود المساكن النبيهة وأرخص الأثمان... وخزانة كتب العلوم... إلا أنها عديمة الحرث فقيرة من الجنوب... ثم ذم أهلها فلاحظ أن أحوالهم رقيقة وتكلفهم ظاهر واقتصادهم لا تلبس منه طريقة وتقديرهم للأرزاق

عريق يجعلون الخبز في الولايم بعدد الجماجم مفتونون ببلدهم لا يفضلون على مدينتهم مدينة الشك عندي في مكة والمدينة» («أزهار الرياض»، ج 1، ص 31).

وقد رسم لنا أبو محمد الأنصاري صورة رائعة عن مظاهر الاقتصاد والعمران في (سبتة) بعد احتلالها بثماني سنوات حيث تجلت في أبهى حللها كأعظم حاضرة لا في المغرب وحده بل في كثير من أنحاء العالم المتمدن. وقد صنف الكتاب عام (825هـ/1421م) فعدد لنا المجالي الحضارية التي انكسفت بعد الاحتلال منها توفر 174 سوقا و360 فرنا و24 000 دكان و40 000 مطمورة و22 حماما و100 صنف من الأسماك تصاد في مياهها ومنه المرجان في 299 مصيدة للحوت و360 فندقا و103 مطحنة و30 رصيفاً مينائياً و18 محرسا عسكريا. وكانت سبتة منذ القرن الثاني عشر الميلادي تصدر المنتجات المغربية من قطنيات ونحاسيات ضمن دار للصناعة والتصدير، علاوة على صادرات الفواكه التي تنوعت أصنافها منها 65 نوعا من العنب و28 نوعا من التين و15 من التفاح و6 من الخوخ و14 من السفرجل و16 من الرمان. ومن مظاهر الرفاه الاجتماعي بسبتة وجود مستشفيات يحتوي أحدها على 800 سرير («وصف تاريخ المغرب»، غودار، ج 1، ص 62).

وقد تم احتلال سبتة من طرف البرتغاليين عام (817هـ/1414م) بينما تقرر احتلال طنجة - التي وصل إليها ثمانية آلاف رجل - في تاسع شتنبر (1437م/841هـ) وكان أبو عثمان المريني قد اغتيل عام 1420/823 فخلفه ولده الأصغر عبد الحق الذي بايعه الوزير أبو زكري الذي استنفر ملكي مراكش وبادس لمعارضة الغزو البرتغالي فحوصر البرتغاليون واضطروا للاستسلام في 16 أكتوبر 1437، فطالب المغاربة بإرجاع سبتة واحتفظوا برهن (الدون فرناندو) الذي تحمل الأسر ومات بفاس في 5 يونيو (847/1443هـ).

وفي عام 1438 تولى الملك الفونس الخامس فقرر احتلال (القصر الصغير)، وفي 21 أكتوبر 1458 تولى الملك الفونس بنفسه قيادة الأسطول البرتغالي المكون من 280 مركبا شرايعا و 25.000 رجل، فاستسلم (القصر الصغير) يوم 23 أكتوبر. وفي أوائل نونبر هب سلطان فاس عبد الحق المريني إلى محاصرة البرتغاليين أمام (المرية) ولكن الفونس الخامس انبرى لإنجاد المحاصرين فاضطر سلطان المغرب إلى رفع الحصار في ثاني يناير 1459م/864هـ. وبعد بضع سنوات عقد شيوخ (الأنجرة) و(جبل الخروب) معاهدة مع حاكمي سبتة و(القصر الصغير) تسمح لهم بالدخول إلى سوق المدينتين مقابل الاعتراف للبرتغاليين بحق المرور عبر بلادهم مع وعدهم بالمساندة العسكرية.

وقد لاحظ (مونزير Münzer) أنه في عام 863هـ/1458م جند ملك فاس وأمير تونس وأمير وهران أربعين ألف رجل لتحرير سبتة ولكنهم فشلوا لأن سلاحهم لم يزد على درقات خشبية، وكان في المدينة ثمانمائة مسيحي، وقد شجع ذلك البرتغاليين - حسب Mûser على احتلال أصيلا وطنجة والقصر الصغير في السنوات التالية، ثم فرض إتاوات على القرى المجاورة قدرها دوكا واحدة لكل نفر. ومعلوم أنه في عام (947هـ/1540) هاجم الأفارقة فجأة بثمانين مركبا جبل طارق ثم حاصروا مدينة سبتة (دوكاستر، ص. أ، السعديون، ج 1م، ص 1، عام 1918).

وقد احتل البرتغال عام 1437م جزيرة الثورة أو (جزيرة المعدنوس) (La isla de Perejil) قرب سبتة أرضها صخرية هي مركز هام لصيد الأسماك ومأوى لقوارب الصيد والبواخر وسجن عسكري وميدان للمناورات الحربية. ويقال بأن بحارين من مرسليليا كانوا يذهبون إلى مياه سبتة فرداً فرداً في القرن

الرابع الميلادي لصيد المرجان. ومعلوم أن (جزيرة البقدنوس) التي عرفت في خرائط قديمة باسم (جزيرة المرجان) (Ile du Corail) كانت تبعد بنحو عشرة كيلومترات غربي سبتة.

وفي الاتفاقية الاسبانية البرتغالية سنة (1663م و1668م) اعترف البرتغال بنفوذ اسبانيا على سبتة وجزيرة الثورة وألحقها رسميا باسبانيا عام (1750م) حيث اعتبرتها المفتاح العسكري لسبتة. وحاولت انجلترا احتلالها مرتين في القرن التاسع عشر آخرها عام (1842م) ثم اعترفت انجلترا بتبعيةها لاسبانيا وطالبت الولايات المتحدة بإحالتها إلى محطة للبواخر التجارية فعارضت اسبانيا في ذلك. وقد تم الاحتلال بعد حصار طويل في عهد أبي سعيد بن أحمد المريني أو أخيه عبد الله وخوان الأول ملك البرتغال. واستمر البرتغال في سبتة مائتين وخمسين سنة فاحتلها الاسبان حوالي 1080هـ/1669م. وقد أكد (منويل) في مذكراته أن المغاربة ثاروا عند احتلال البرتغاليين لسبتة على أميرهم عبد الله بن أحمد المريني وقتلوه. («الاستقصا»، ج 2، ص 147/ «نشر المثاني»، ج 1، ص 109).

وقد خرب البرتغاليون المدينة وأخذوا ما كان بها من الأموال والذخائر حتى الكتب العلمية وتركوها قاعا صفصفا، وكان أهلها وهم محاصرون قد أرسلوا قصيدة طنانة يستنجدون فيها أهل الإسلام من أهل مصر وغيرها مطلعها:

حماة الهدى سبقا وإن بعد المدى فقد سألتكم نصرها ملة الهدى

فلم تفدهم شيئا غير أن أجيئوا بقصيدة من نظم ابن حجة («شذرات الذهب»، ج 7، ص 124). وقد ترجم ابن العماد لابن حجة هذا في الشذرات

(ص 219) فقال ما ملخصه : هو تقي الدين أبو بكر بن علي بن حجة الحموي الحنفي شاعر الشام المعروف بابن حجة، ولد بحماة عام 777هـ - عانى عمل التحرير ثم مدح أعيان دمشق ونادم أمير مصر شيخ المحمودي وصار شاعره وسئل الحافظ ابن حجر عن شاعر العصر فقال الشيخ تقي الدين بن حجة («المرأة»، ص 206/«الإعلام» للمراكشي، ج 6، ص 129).

وكانت الروح الصليبية قد انتعشت في الغرب بعدما ضعفت في الشرق حسب مؤرخين أمثال صاحب (p. 13) «Domination portugaise au Maroc». وقد عزز المسيحيون في انتفاضة طييبة كلا من الاحتلال البرتغالي ثم الأسباني في بعثات فردية وجماعية مهدت له في مختلف المناطق والجيوب. وبافتقارهم عملاء مسلمين بالمغرب لاستخدامهم في دعم الاحتلال، عمد المسيحيون إلى محاولة جريئة هي تمسيح اليهود لبث روح العداء في نفوسهم ضد الإسلام واستخدامهم كعملاء ضد مواطنيهم في مقاصدهم الملتوية، لأن معظم يهود المغرب كانوا ضمن الموريسكيين الأندلسيين الذين طردوا من غرناطة بعد سقوطها عام 875 هـ/1470م، وتجدد نفيتهم الإجماعي بعد ذلك بنحو 120 سنة، فتواكب هذا النفي مع الأحداث الأيبيرية الهادفة إلى دعم احتلال سبتة والجيوب الساحلية. وكان معظم الإسرائيليين مشبعين بروح العداء المسيحي لاسبانيا الذين أذاقوهم الأمرين من خلال حركة التفتيش Inquisitions، فلم يكن لحركة التنصير كبير أثر في نفوسهم إذ ظلوا متمسكين بمغربيتهن واتخذوا من انتصار المغرب في (وقعة وادي المخازن) عيداً سنوياً لهم. ومهما يكن، فمنذ ألغي مرسوم نانط «Edit de Nantes» (1685م/1097م) أصبح البروتستانت يشكلون في معظم مدن الساحل المغربي جماعات نشيطة وهامة نسبياً (دوكاستر - س. 2

العلويون، ج 6، ص 157)، ولم يكن يقطن في (أكادير) منهم سوى الإنجليز أو الفرنسيين المنفيين (ص 527). وقد اهتمت البعثات الانجليزية بالتبشير في افريقيا السوداء ولم تهتم بالمغرب إلا أخيراً وخاصة بالجالية الإسرائيلية نظراً لاستقرار تجار يهود من الصويرة في لندن ومنشيستر. ففي عام (1834م/1250هـ) أسست (شركة لندن لنشر المسيحية) بين اليهود فرعاً لها بالمغرب. وفي عام (1858م) حاول يهودي اعتنق المسيحية تمسيح الاسرائيليين بتطوان، ولكن العمل التبشيري الحدي لم يبدأ إلا عام 1875 عندما استقر بالصويرة J. B. Crighton Ginsburg فمسخ جماعة هال أمرها الأخبار، وقد خلفه Zerbib الفرنسي عندما انتقل هو عام 1886 لمباشرة عمله في (الاستانة)، ثم جاء المبشر الانجليزي Mackintosh إلى المغرب عام 1882 فاستقر بطنجة، ربما بتواطؤ مع ماكينزي صاحب مركز رأس جولي Cap July، وعندما توفي عام 1900 خلفه Millier الذي بدأ عمله بتطوان ثم مراکش بتعاون مع بعثة المغرب Southern Morocco mission. وكانت في الجزائر بعثة افريقيا الشمالية North Africa Mission، فتحت فرعاً لها بطنجة (مرشان) عام 1884 معززا بمصححة أحييت بعد ذلك إلى مستشفى وأصبحت أهم بعثات البروتستانت بالمغرب، وأصبح لها ممثلون تسعة عام 1886 بطنجة وأصيلا وفاس. فكان Balwin بمدينة البوغاز و Herdman بفاس، وأخيراً أسس فرع بتطوان عام 1889 وآخر بالدار البيضاء عام 1890 تزايد نشاطه ابتداء من عام 1894. ولكن البعثة احتفظت إلى تم القرن الماضي بأربعة مراكز فقط بطنجة وفاس (أو صفرو) في الصيف وتطوان والدار البيضاء، وارتفع مبشروها إلى 37 عام 1900، وهم نصف عدد المبشرين بالمغرب. وفي عام 1886 استقر بطنجة ممثل للبعثة التبشيرية التي كانت تهتم بتمسيح اليهود بالشمال الافريقي وهي :

«Mildmay mission to the Jews» اهتمت بيهود فاس ثم مراکش ودمنات ثم الملاحات المنعزلة. وقد ظلت سبتة أبرشية تابعة للاسكندرية حسبما ورد في لائحة اسقفيات (دوكاستر - السعديون - س. أ. م. 3) (المقدمة).

وهنا تعززت انتفاضة الشعب المغربي عارمة في جهاد موصول ضد الاحتلال البرتغالي والإسباني. وقد تزعمت تطوان الحركة الجهادية القرصانية ضد الشواطئ والسفن الاسبانية كرد فعل ضد حركة التفتيش، ففتك أحمد النقيس التطواني بنصاري سبتة عام 996هـ، حيث أنشد محمد بن علي الفشتالي المنصور السعدي قصيدته التي جاء فيها :

هذه سبتة تزف عروسا نحو ناديك في شباب قشيب

وهي بشرى وأنت كفؤ اللواتي كافأت بعلها بفتح قريب

(«الاستقصا»، ج 3، ص 57).

وكانت عائشة الحرة قبل ذلك زعيمة هذه الحملات، فكانت تتقن القطلانية وقد تزوجت حليف والدها ضد البرتغال السيد علي المنضري مجدد تطوان وحكمت المدينة باسمه، وخاضت سفنها ورجالها غربي البحر المتوسط وظلت مناوشاتها ضد (الدون الفونصو) حاكم سبتة الأحدث البارزة في حوليات الجهاد (مجلة هسبريس، 222، XLIII).

وفي عام (1102هـ/1690م) زحف المجاهدون بعد تحرير العرائش و(أصيلا) نحو مدينة سبتة، وأمدهم المولى إسماعيل بعساكر من عبيده، وأمر قبائل الجبل وكذلك أهل فاس أن تعين كل قبيلة حصتها للمرابطة على سبتة، فبلغ

عدد المرابطين خمسة وعشرين ألفا وطال الحصار ومات القائد علي بن عبد الله الريفي وولي بعده ابنه القائد أحمد بن علي، واستمر القتال سنوات يتعاقب الغزاة كل سنة والسلطان مشغول بتمهيد المغرب ومحاربة ثوار (فازاز) («الاستقصا»، ج 4، ص 37).

وقد حاصرها القائد علي بن عبد الله عام (1106هـ/1694-1695م) وكان مولاي اسماعيل يرغب أيضا في محاصرة (مليلية) ولكن تهديد الجزائر بالهجوم على المغرب حدا السلطان إلى نقل جنود الحصار وحشدوا في ناحية وهران (ص 384) لخوض (معركة الألغام) (1697) مع استمرار محاصرة مليلية.

(«أخبار حصار سبتة» (ص 361-369 و ص 429-431 / دو كاستر، س 2، الفلاليون - فرنسا، م. 4، ص 305).

وذكر گودار («وصف تاريخ المغرب»، ج 2، ص 519) أن المولى إسماعيل بقي محاصرا لسبتة طوال ست وعشرين سنة ابتداء من عام (1106هـ/1694م)، وكلفه الحصار مائة ألف من الجند. وقد أراد أن يسترجع سبتة مقابل الأسرى الإسبان. كما تدخل سفير السلطان العثماني لإعادة السلام بين المغرب والجزائر، وقد انتقد بطء حصار سبتة كما قام الإسبان برد فعل عنيف ظن بعده أن المدينة منيعة. وقد وقع التخلي آنذاك (عام 1697) عن حصار مليلية ثم ضوعف حصار سبتة وأعطى السلطان أجل شهر لعلي بن عبد الله لتحرير المدينة وأصبح الحصار ضربا من الاستنزاف الذي كلف الإسبان مقاومة شديدة (1698). وقد جرت مفاوضات صلح بين علي بن عبد الله وحاكم سبتة (دو كاستر، س 2، الفلاليون، م 4، ص 1693/534-1698.

وقد وجه السلطان المولى إسماعيل رسالة غير مؤرخة، كتبت قبل عام (1118هـ/1706م) إلى البرلمان الانجليزي وأميرال البحر البريطاني يحتج فيها على اقتراح انجلترا بعد احتلال جبل طارق عام (1116هـ/1704م) التحالف مع الإسبان الذين يحتلون سبتة ضد المسلمين، مع أن ذلك مناف للمعاهدة المغربية الانجليزية. وما دامت انجلترا لا تسعى إلا لضمان مرور سفنها في البوغاز فعليها أن تساعد المغرب على استرجاع سبتة. وكانت أنجلترا تشترط على اسبان سبتة الانضمام إلى ملك اسبانيا الدوق شارل بدلا من فيليب الخامس حفيد لويس الرابع عشر الذي ملك اسبانيا بعد وفاة شارل الثاني (دوكاستر، س. 2، العلويون، ج 6، ص 349).

وقد توالى الحصارات على سبتة في فترات عديدة وفي عام (1133هـ/1720م) فاجأ الاسبان الجيش الإسماعيلي الذي كان يحاصر سبتة بهجوم استولوا خلاله على محلتهم وخباء القائد علي بن عبد الله الريفي و(قصة أفراك)، واستشهد ألف من الجند ثم كر عليهم الجيش المغربي فأسر منهم ثلاثة آلاف («الاستقصا»، ج 4، ص 47).

وفي عام (1173هـ/1759م) وقف السلطان سيدي محمد بن عبد الله على تحصينات سبتة ورصد حصة من رماة انجرة لحراسة نواحيها والوقوف على حدودها («الاستقصا»، ج 4، ص 95). وظلت انجلترا تراوغ وتماطل نحوها من سبعين سنة، وأخيرا وجهت مبعوثها (ما طرا) إلى مولاي اليزيد في (ربيع الأول 1205هـ/نونبر 1790) لإخباره بعدم استطاعة بريطانيا مساعدة المغرب نظرا لتحسن علاقتها مع إسبانيا. ومع ذلك ظل السلطان متمسكا

بموقفه واعداد الانجليز بمضاعفة المعونة، كما واصل المغرب سياسته حين وجه رسالة إلى انجلترا في (18 ربيع الثاني 1222هـ/25 يونيو 1807) لتأكيد الوعد بزيادة صادرات المغرب إلى بريطانيا «إذا ما ساعدته في إخلاء الاسبان عن سبتة وإرجاعها للوطن الوالد».

وقد وجه المولى اليزيد العلوي سفيراً من قواده العسكريين إلى (جبل طارق) لشراء الأسلحة من انجلترا والحصول على مساعدة مهتداً بقطع مساعدة المغرب عن حامية طارق إذا لم يحصل على مرغوبه. وقد قرر السلطان الشروع في محاصرة المدينة ابتداء من (18 ذي الحجة 1205هـ/18 غشت 1791م) بنحو خمسة وعشرين ألف مجاهد وكان السلطان قد حصل على مساعدات تقنية منها خبير عسكري بريطاني ولكن مناهضة أخيه مولاي هشام بمراكش اضطرته إلى الالتحاق بعاصمته.

وذكر المؤرخ البريطاني (نيفيل باربر) في كتابه «المغرب» (Morocco) أن جوزيف بونابارت عرض على السلطان مولاي سليمان إرجاع سبتة ومليلية للمغرب إذا ما اعترف السلطان به ملكاً على إسبانيا، فأجاب السلطان بأن «سبتة ومليلية متاع المغرب لا بد من عودته إلى المغاربة». وقد اضطر نابليون إلى الجلاء عن مدريد.

وورد في رسالة موجهة من نائب السلطان المولى سليمان بطنجة إلى الحكومة البريطانية في شهر (صفر 1223هـ/أبريل 1808م) إلحاحه في أن تحاصر بريطانيا سبتة بحراً بينما تحاصرها الجيوش المغربية من ناحية البر».

وقد شعرت إسبانيا بالخطر فأشركت حليفها بريطانيا (عام 1225هـ/1810 م) في استغلال ميناء سبتة لتضمن الدفاع عنها، فضاعف المغرب مساعدته

لجبل طارق والأسطول البريطاني بدون جدوى (مجلة البحث العلمي، عدد 26، عام 1396هـ/1976 نقلا عن مصادر فرنسية وانجليزية).

وقد ورد إلى المغرب (بوريل) وهو قبطان مهندس عسكري يحمل رسالة (مؤرخة - 16 مايو 1808) من نابليون إلى السلطان مولاي سليمان الذي كان نابليون يتهمه بتفضيل الانجليز أكثر من اللازم، حيث تركهم يحتلون (جزيرة المقدنوس Ilot de Peregil) قرب (جبل طارق)، ولم يمنعهم من ارتياد سواحلهم ومراسيهم. كما أنه لم يعترف بالأمر (جوزيف بوناپارط Joseph Bonaparte) ملكا على إسبانيا حيث تقبل بطنجة قنصلا عن عصاة اشبيلية الإسبانية (Junte espagnole de Seville). وعند وصوله إلى طنجة اتصل بممثل فرنسا (أورنانو Ornano) الذي كان عين عام 1805 وظل يحمل لقب مندوب عام للعلاقات التجارية (وهو لقب استعير به عن صفة قنصل أو قنصل عام).

وقد استقبل المولى سليمان كلا من (بوريل) (وارونانو) بفاس في (25 ربيع الثاني 1223هـ/18 غشت 1808) فكان رد الشريف باردا متعاليا، مع ملاحظة استعداد المغرب لتقديم كل التسهيلات لفرنسا إذا طلبت ذلك. ثم أخبر قائد المشور المبعوثين الفرنسيين أن مغادرتهم لفاس ستتم في الغد، حيث سيسلم جواب السلطان على الرسالة في مدينة طنجة. وقد تأثرا من هذه المعاملة غير العادية فطلبوا مقابلة ثانية من السلطان قوبلت بالرفض، واقترح عليهما مقابلة أخرى من الشريف مولاي عبد السلام فامتنعا. وقد أسر قائد المشور إلى (بوريل) مطالبة السلطان بخمسة كتب عربية موجودة قطعاً بباريس للحصول عليها بأي ثمن حتى ولو بلغ مليون فرنك أو بسيطة.

وقد ظل (بوريل) واحدا وعشرين شهرا بطنجة قبل أن يتمكن من الإبحار إلى أوروبا واستطاع خلال هذه الفترة تجميع ما جاء من أجله من معلومات عسكرية حول المغرب. («تاريخ تطوان»، داود، ج 2، ص 28-30/«نشر المثنائي»، ج 2، ص 159) («الاستقصا»، ج 4، ص 37-126/«الجيش العرمرم»، ج 1، ص 76). «تاريخ الضعيف» (أحداث عام 1205).

ولعل الشعب المغربي قد شعر بأن عملية التفاوض السلمي غير مجدية مع دولة مسيحية عنيدة فاختر الجهاد المسلح لتعزيز موقف المغرب، ولذلك انهالت على المجاهدين رسائل تأييد وتشجيع من علماء فاس (راجع مخطوطة في الخزانة الحسنية رقم 6926/مجلة تطوان، عدد 9، ص 173، عام 1964/ وكذلك عام 1958-1959).

وكان الشعراء يثيرون حماس المخزن والشعب بخوض مزيد من الكفاح من أجل التحرير حيث خاطب عبد الواحد البوعناني الفاسي سبتة مشيرا إلى تحرير وهران ومناداتها للمولى إسماعيل :

إلا يا أهل سبتة قد أتاكم	بسيف الله سلطان وقور
ووهـران تنادي كل يوم	متى يأتي الإمام متى يزور
أيا مولاي قم وانهض وشمـر	لأنـدلس فأنت لها الأمير
إذا ما جاء سبتة في عشي	تـزف له إذا كان البكور

وحت العلامة الشاعر عبد السلام جسوس على الجهاد لتحرير سبتة وبادس وباقي الجيوب المحتلة فقال :

رفعت منازل سبتة أقوالها تشكو إليكم بالذي قد هالها
 مع بادس وبريعة فتعطفوا وتنهوا كي تسمعوا تسألها
 فلقد قضيتم للعرائش حاجة مع طنجة فاقضوا الذي آمالها
 لا تسمعن من جاهل ومثبط ومصعب من جهله أحوالها

وقد أدى الصراع المتلاحم من طرف العرش والشعب - إلى نشوب هلع في صفوف المسؤولين الاسبان مما حدا مجلس الكورتيس إلى إصدار إذن رسمي عام (1821م/1237هـ) للملك شارل الثالث بالتخلي عن مراكز سبتة ومليلية وحجرة بادس والجزر الجعفرية. كما نبه على ذلك دو كاستر (Decastries) (في «الوثائق الغميسة» - السعديون - السلسلة الأولى - م 1، ص 23 و 673/م/2، ص 7 و 466/م. 3، ص 85 و 737).

وقد شعرت اسبانيا فعلا بمدى الضغوط الشعبية والرسمية من طرف القبائل التي لم تفر عن مواصلة الجهاد طوال أزيد من خمسة قرون في كل من منطقة ناضور بمليلية واللنجرة بسبتة، لا سيما وأن سبتة ظلت منذ احتلالها مخنوقة لانعدام الماء الذي هو عصب الحياة ولانفصال منطقة (بليونش) عنها، وهي التي كانت عيونها الثمانون فياضة المدد لسبتة منذ الفتح الإسلامي.

وقد وصف ابن الخطيب السلماي (بليونش) فقال :

بليونش أسنى الأماكن رفعة وأجل أرض الله طرا شانا
 هي جنة الدنيا التي من أجلها نال الرضى والروح والريحانا
 قالوا القروء بها فقلت فضيلة حيوانها قد قارب الإنسانا

فسبتة بدون (بليونش) مدينة قاحلة من الماء لم تنجح فيها فكرة تأسيس ميناء عام 1864 حيث تأخر ذلك عشرين سنة أخرى، والحل كان يكمن في قرية

(بليونش) التي امتدت إليها أطماع الأسبان لضمان تموين المدينة. وقد حاولوا خلال مفاوضات السلام بعد حرب تطوان الحصول على رخصة للتموين في التراب المغربي وحصلوا بعد ذلك بثلاث سنوات على كمية سنوية من رؤوس البقر تبلغ 1500 لتموين حامية المدينة، ولكن السلطان طالب بنقل هذه الأبقار بحرا من طنجة إلى سبتة فرفض الأسبان ذلك وأخطر السلطان للرضوخ إلى نقلها برا إلى تطوان ومنها إلى سبتة ولكن الأسبان رفضوا التعرّيج على تطوان لأنهم كانوا يرغبون في حرية المرور بضاحية سبتة في (بليونش)، وكاد ذلك يتم عام (1879 م) حيث أعد مشروع لتزويد سبتة بالماء من مركز بليونش. وقد عثر بين الوثائق في مكتبة سيدي عبد الحي الكتاني على رسائل غميسة تلقي بعض الضوء على هذه القضية (رسالة محمد برگاش إلى الوزير بليمانى مؤرخة بعاشر رجب 1279هـ/10 يناير 1863م، ورسالة أخرى من السلطان سيدي محمد مؤرخة بخامس وعشرين من ذي القعدة 1279هـ/14 مايه 1863م)، ولكن تصميم عام 1879 ظل حبرا على ورق لأن المملكة تشبثت بمنطقة بليونش، فحاولت اسبانيا الحصول عام 1893 على تنازلات مغربية لتزويد سبتة بالماء (توجد رسالة غميسة لجلالة الحسن الأول إلى نائبه محمد الطريس بطنجة بتاريخ 24 ربيع الأول عام 1311هـ/5 أكتوبر 1893م (راجع وثائق تطوان) (Archives de Tetouan, XII, 34).

وفي عام 1900 ورد السفير الإسباني (Ojeda) إلى المغرب وحصل على وعد من الدولة المغربية بدراسة مشروع نقل الماء على قنوات إلى حدود سبتة ولكن الوعد لم يتحقق (كما يتجلى ذلك من رسالة غميسة وجهها أحمد بن موسى وزير السلطان مولاي عبد الغزيز إلى محمد الطريس مؤرخة بـ 18 ذي

الحجة 1317هـ/ 19 أبريل 1900. Archives de Tétouan, XXVI, 124. ولكن لم تتحقق في الواقع رغبة الأسبان إلا تحت الضغط بعد أن فرضت الحماية على المغرب عام 1912 لا سيما بعد أن استسلم عام 1919 أهل (أنجرة) وهي القبيلة المالكة للأقاليم التي تقع فيه (بليونش). والحقيقة أن مدينة سبتة لم تنتعش إلا ابتداء من هذا التاريخ فتكونت شركة لنقل المياه هي : «La Emaresa Abastecedora de Aguas de Ceuta». استحوذت على جزء من الماء تحت الضغط والارتشاء ثم على مجموعه.

وهكذا فبعد أن ظلت سبتة طوال خمسة قرون ناضبة المعين من ماء الحياة أصبح في وسع السفن أن ترابط منذ عام 1921 في ميناء سبتة للتزود بالماء. «Revista Hispano-Africana». وبذلك وسع الميناء واكتمل تجهيزه عام 1923 برصيفين طولهما 2300م أضيف إليهما رصيف ثالث عام 1928 فأصبح في مقدوره القيام بدور مزدوج عسكريا واقتصاديا. وتوجد الآن ثلاث قنوات تصل بليونش بسبتة أسهمت في ازدهار المدينة وارتفاع عدد سكانها من خمسين ألفا عام 1936 إلى سبعين ألفا بعد عشر سنوات. وأصبح الميناء بما يرد عليه أول مرسى بالنسبة للموانئ الإسبانية عام 1935. ولكن إسبانيا أصبحت تشعر بخطر جديد يهدد الجيب المصطنع بعد أن جعلت فرنسا حدا لحمايتها في ثاني مارس 1956 دون سابق اتفاق مع إسبانيا. فإذا ما منحت إسبانيا الاستقلال لمنطقة نفوذها بالشمال فيكون معنى ذلك عودة سبتة إلى حدود ما قبل الحماية، أي تسعة عشر كلم مربع مفصولة من جديد عن باقي الإقليم وخاصة (بليونش). هنالك بادر الإسبان باتخاذ إجراءات بعد مرور شهرين اثنين على إعلان الاستقلال، فحرروا عقدا يعترف لحاضرة سبتة لا بحق استعمال مياه بليونش بل بالملكية الكاملة للإقليم الذي تنبع منه هذه المياه. وقد أضفى

الأسبان على هذا طابعا قانونيا عندما حرروه بإمضاء عدلين ما لبثا أن تراجعوا عن شهادتهما بعد ذلك. وقد أصدر الاسبان حكما من مجلس الاستيناف بتطوان للتصديق على تحفيظ هذه المنطقة في اسم سبتة، وقد عارض سكان (بليونش) هذا التحفيظ وصدر حكم لصالحهم يوم 8 يوليوز 1957، فاستأنفت بلدية سبتة ورفض مجلس الاستيناف بتطوان تعرض بليونش يوم 23 أكتوبر 1957. والواقع أن هذه الأحكام كانت صادرة عن الإسبان. أنفسهم لأن القضاة كانوا لا يزالون من جنسية اسبانية ومهما يكن فإن القانون الدولي يعتبر منطقة المياه ملكية عمومية لا يسمح القانون بتفويتها لا سيما لفائدة دولة أجنبية، والمغرب يشعر بقوة هذا الحق.

ولكن الحقيقة المرة هي أن إسبانيا لا تزال تواصل استغلالها القسري الأثيم للمنطقة بتواطؤ صامت من طرف الدول الكبرى خاصة انجلترا التي لا تزال تحتل جبل طارق مهيمنة على مياه المضيق، مما فسح المجال أمام الإسبان مؤقتا إلى تحقيق تطور سريع في النشاط الاقتصادي الذي ارتفعت حرركته في ظرف خمس سنوات (1960-1964) من 13 إلى 19 مليون طن على أمل فتح المرسى في وجه ناقلات البترول الكبرى.

وما وقع في المدينتين السليبتين قد وقع مؤخرا منذ عام 1940 بالنسبة للصحراء بعد أن توقفت المقاومة عام 1934. وقد أعلن فرانكو إيفني والصحراء أرضا اسبانية عام 1958، كما أعلن أن غينيا الاستوائية هي أيضا أرض إسبانية. وبمرسوم مماثل أعلن فرانكو أن سبتة ومليلية مدينتان اسبانيتان (مرسوم 21 مارس 1958)، لكن كمواقع سيادة. والواقع أن مشروع الاستقلال الذاتي قد أعلن عام 1931 (دستور 1931/12/9)، حيث لوحظ أن أقاليم السيادة في شمال

افريقيا سنتظم بمقتضى نظام ذاتي يكون على صلة مباشرة مع الحكم المركزي، ولذلك وضعتا مع الجزر الجعفرية مباشرة تحت سلطة وزارة الداخلية حيث أصبح لهما - وربما ذلك منذ أوائل هذا القرن - وضع مراكز لها تجارة وحياة خاصتان لسبيين (حسب مانويل ليريا) صاحب كتاب «سبتة ومليلية في الجدل»، وهما اختلافهما عن باقي الأقاليم المستعمرة في افريقيا ووضعهما الخاص وهو وضع استثنائي متميز عن باقي التراب الاسباني غير المتنازع فيه. وقد تجددت المحاولة في (دستور 1978) نتجت عنها فكرة الحكم الذاتي في صيغته الجديدة.

وهكذا فإن الحكومة الاسبانية التي لا تريد الانصياع إلى صوت المنطق الدولي الحق بإنهاء احتلالها لسبتة ومليلية وإعادتهما إلى الوطن الوالد تنهج أخس المراوغات لإيجاد صيغ تواصل في ظلها احتلال الثغرين المغربيين في نطاق ما سمته بالاستقلال الذاتي قاصدة بذلك فصل الحاضرتين عن المغرب، مع الحفاظ على خضوع التشريع لمراقبة الكورتيس. وهذا الاستقلال الذاتي الشكلي قد منح بالفعل لـ(18) منطقة أخرى باسبانيا مع استمرار خضوعها للسيادة الاسبانية وفي هذه الأسطورة تصبح سبتة ومليلية أشد ارتباطا باسبانيا على غرار وضعية (الجزر الخالدات).

وقد أدرجت الوحدة الأوروبية حسب كراسة عن سبتة والاتحاد الأوروبي المدينة المغربية ضمن برامجها الاقتصادية رغم التحفظات المكتوبة التي تساور شركاء اسبانيا في الاتحاد تجاه سبتة ومليلية، فساهمت بقروض في إنعاش سبتة. وقد أكد مدير بعثة الاتحاد الأوروبي في مدريد أن نظام الحكم الذاتي المعمول به في اسبانيا سيساعد على دعم رغبة الاتحاد الذي شعر منذ التحاق اسبانيا بالسوق

المشتركة عام 1986 بتزايد أهمية سبتة كصلة وصل بين أوروبا والقارة الأفريقية، ولذلك استفادت المدينة بكيفية خاصة من المجهود المالي للاتحاد خلال أربع سنوات (1989-1993)، فحصلت على عشرة ملايين ونصف مليون (إيكو). والاتحاد متجه - على ما يلوح - بصورة حثيثة نحو ما يمكن أن يوصف بالدعم للوجود الإسباني غير المشروع في المنطقة، ولذلك لم تعر إسبانيا كبير اهتمام إلى اقتراح جلالة الملك الحسن الثاني الهادف إلى تكوين خلية للتفكير في المشكل ولا إلى ترديد بعض المسؤولين حق المغرب غير المنازع. والواقع أن الدولار الدولي الذي استأنسنا بازدواجية معايير ومكاييله يسير في اتجاه معاكس لحقوق المغرب فلذلك لم يعد الوضع قابلاً لما اعتدناه من تلميحات إلى المساس بسيادتنا في أكرم مظاهرها وأصبح من اللازم أن نكيل للعدو بنفس المكيال.

المراجع

- «الحلل السندسية»، ج 1، ص 63.
- تحرير سبتة من قبضة بني الأحمر آخر أيام بني نصر («الاستقصا»، ج 2، ص 48).
- سبتة والحفصيين («البيان» لابن عذارى، ج 4، ص 454)
- سبتة والعزفيين («الاستقصا»، ج 2، ص 17).
- سبتة والسيدة الحرة (دوكاستر - ق. أ. - السعديون - البرتغال، م. 4. ص 89).
- مهاجمة أحمد النقسييس لها عام (996 هـ/1587م) وما قاله الشعراء في ذلك («الاستقصا» 3، ص 57) ثم السعديين (دوكاستر، ج 1، ص 293).
- سبتة بيزنطية أو فيزيقوطية ؟

- P. Goubert - «Ceuta byzantine ou wisigotique ? Notes d'histoire et d'archéologie» - Misc. - 1947 - 1951.
- Goerges Hardy, «Le Maroc dans Histoire des colonies françaises», T. III, Paris, 1931 (p. 15).
- Elie de la Primandaie, les villes maritimes du Maroc, in Revue africaine, 1872 -p. 502).
- J. P. Mesnage, «l'Afrique Chrétienne, Evéchés et ruines antiques», Paris, 1912, (p. 512).
- R. P. Koethier, «l'Eglise chrétienne du Maroc et la mission française», Paris 1934, p. XIV.
- Mascarenhas (Jeronimo de) Historia de la ciudad de Ceuta, in Publ. de l'Acad. des Schiences de Lisbonne, 1918.
- Rivera Manescau - Un plano inedito de Ceuta y su campo en el siglo XVIII, in Africa, rev. de tropascol, 1927 (P. 57 - 59).
- M. Criado y M. L. Ortega, Apuntes para la historia de Ceuta, T. I. Madrid, 1928 (414 p.)
- R. Ricard - Camoëns à Ceuta.
- M. Ferrer Bravo. Ermitas de Ceuta, in Libro de Ceuta, Ceuta, 1928.
- Jose Marquez de Prado : «Historia de Ceuta», 2^e édit., Madrid 1859 (1^{ère} édit. 1848)
- Manuel Tello Amondareyn - «Ceuta, Havre principal del Estrecho», Madrid, 1897.
- Luis Weil Alcaraz : «vida economica de Ceuta, in Africa» mai 1966.